

تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

يأتي هذا الكتاب في إطار «دراسات الأحزاب السياسية والنظم الحزبية»، حيث يتناول العلاقة بين الدين والأحزاب السياسية، وكيفية توظيف هذه الأحزاب للمشاعر الدينية والخطاب الشعبي من أجل حشد الدعم والتأييد لبرامجها وحملاتها الانتخابية. وقد استُهلّ الكتاب بعرضٍ لأهمّ الأدبيات السابقة في هذا الحقل، التي تناولت دور الدين في الأحزاب السياسية عمومًا وفي الدول الديمقراطية خصوصًا. فبدأ الفصل الأول من الكتاب بما يُسمّى «أطروحة العَلْمَنَة» (secularization thesis) التي سادت هذه الأدبيات طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، ورأى المؤلف أنها من بين الأسباب التي حالت دون تقديم دراساتٍ مقارنة في مجال العلاقة بين الأحزاب السياسية والدين، بالإضافة إلى سبب آخر يتمثّل في مفهوم «الحزب الديني» (religious party) ذاته، لما ينطوي عليه من ترسيخٍ لثنائية العلماني-الديني.

أما الجديد الذي يقدّمه الكتاب فهو الجانب النظري منه، مع تطبيقه على ست حالات دراسة، تتباين جغرافيًا ودينيًا، فتشمل دولًا من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا، ودولًا إسلامية ومسيحية ويهودية وغيرها، وهي: الهند وإسرائيل وإيطاليا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية وتونس. أعقبتّها خاتمةٌ عقد فيها المؤلف تحليلًا مقارنًا بين هذه الحالات، وما بينها من أوجه التشابه والاختلاف.

ويعتبر الجانب النظري من الكتاب حول «أطروحة الانقسامات» (cleavages thesis)، التي يوظفها المؤلف في فهم طبيعة الانقسامات الدينية والطائفية، وما يترتّب على توظيفها في الساحة السياسية. ومن ثمّ يحلّل أنماط الانقسامات ذات التوجّه الديني، متناولًا مناهج النظر إليها وما يشوب هذه المناهج من أوجه القصور والخلل. وفيما يتعلّق بالأحزاب السياسية والدينية، نجد أن المؤلف يتناول

التصنيفات السابقة لها، ويحدّد أوجه قصورها، داعيًا إلى تجاوزها؛ ولذا صاغ مصطلحًا جديدًا لهذه الأحزاب التي تحمل توجُّهات دينية في خطابها أو رؤى دينية في برامجها السياسية، فسَمّاها «الأحزاب الدينية التوجُّه» (religiously oriented parties) -لتجاوز ما يحمله مفهوم «الحزب الديني» من قصور- وصنّفها إلى خمسة أنماطٍ ينفصل بعضها عن بعض وتشابك فيما بينها، وهي: النمط «المحافظ» (conservative)، والنمط «التقدُّمي» (progressive)، والنمط «القومي الديني» (religious nationalist)، والنمط «الأصولي» (fundamentalist)، وأخيرًا نمط «المعسكر» (camp).

أما حالات الدراسة، فقد بدأها المؤلّف بالحالة الهندية، فتناول الاختلاف الظاهر بين ما عليه الدولة من علمانية وتوجُّه ديمقراطي على المستوى الرسمي، وبين ما يسود البلاد من حالة الكراهية الطائفية والدينية ودور الأحزاب الدينية التوجُّه من النمط «القومي الديني» في ترسيخ هذه الحالة، وما يقوم به في هذا الصدد «حزب بهاراتيا جاناتا» الحاكم. أما الحالة الإسرائيلية، فقد أرخَ الكتاب لظهور الحركة الصهيونية وما لها من جذور دينية ودورها في الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ونشأة الأحزاب الدينية فيها، وأبرزها حزب «الليكود» وحزب «شاس» وحركة «كاخ»، متسائلًا عن ماهية هذه الدولة، أهى يهودية أم علمانية. ثم عرّج الكاتب على الحالة الإيطالية، وفصّل في علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالعمل السياسي، وحالة العلمنة التي سادت البلاد بعد الوحدة، ثم نشأة الأحزاب الدينية في مرحلة ما بعد السماح للكاثوليك بالانخراط في العمل السياسي، مع تحوّل كثير من هذه الأحزاب لاحقًا إلى أحزاب شعبية، لا سيما حالة حزب «الديمقراطية المسيحية» و«رابطة الشمال».

وفي الحالة التركية، تناول المؤلّف العلاقة بين الإسلام والعلمانية والديمقراطية، مع تحليلٍ للخلفية العثمانية والكمالية، ودور الانقسام بين المركز والأطراف في نشأة أحزاب دينية التوجُّه من النمط «المحافظ»، وأبرزها «حزب العدالة والتنمية» الحاكم. ثم عرضَ الكتاب لما طرأ في الولايات المتحدة

الأمريكية من تغيّرات في دور الدين، وذلك تبعاً لتوجّهات الحزب المهيمن في البلاد، التي يسودها نظام الحزبيين («الحزب الديمقراطي» و«الحزب الجمهوري»)، وأبرز دور المنظمات اليمينية المسيحية وما تثيره من معارك حزبية على أسس ثقافية ودينية.

وأما منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فقد درّس الكاتب العلاقة بين الإسلام والديمقراطية من خلال حالة «حركة النهضة» في تونس، ودورها في العملية الديمقراطية في البلاد حتى تاريخ نشر الكتاب في أصله الإنجليزي (٢٠٢٠م).

ومؤلف هذا الكتاب هو لوقا أوزانو، أستاذ العلوم السياسية والسياسات المقارنة في جامعة تورينو (إيطاليا)، والمشارك في مجموعة واسعة من المشاريع والمؤسسات البحثية في مجال العلاقة بين الدين والديمقراطية والمجال السياسي، أبرزها مجموعة «الدين والسياسة» التابعة للرابطة الأوروبية للبحوث السياسية. كما سبق لأوزانو أن أصدر جملةً من الكتب (تأليفاً وتحريراً) في هذا المجال، آخرها كتابنا هذا.

تأتي الترجمة العربية لهذا الكتاب في سياق عمل مركز نهوض للدراسات والبحوث على نقل الخبرات الأكاديمية الأجنبية في حقل النظرية السياسية، لا سيما في إطار العلاقة بين الدين والسياسة. ويتميز هذا الكتاب بجدة طرحه وصياغته لمفاهيم جديدة في تناول الظاهرة الدينية في العمل السياسي الحزبي، بالإضافة إلى تناوله المكثف لحالات الأحزاب الدينية التوجه في عددٍ من البلدان المختلفة، مع التأريخ لأسباب ظهورها وتحليل طبيعة عملها والتحويلات التي مرّت بها، فضلاً عن النظرة المقارنة في تناولها، بما تثيره من رؤى وتصوراتٍ مختلفة تشجّع على فهمٍ أعمق وأشمل للظاهرة.

وقد قدّم المركز عدداً من الإصدارات المهمّة في هذا الإطار، منها كتاب «العلاقة بين الدين والدولة» للدكتور محمد طه عليوة، وكتاب «الإسلام والسياسة

في العصر الوسيط» للدكتور مكرم عباس، وكتاب «التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني» لكلّ من ستيفين ديلو وتيموثي ديل.

وفي جانب الدراسات التي تتناول بلداناً بعينها، قدّم المركز أطروحةً للدكتور علي فهد الزميع بعنوان «الحركات الإسلامية السُّنية والشيوعية في الكويت» في جزأين. كما أصدرَ المركز أيضاً ثلاثيةً في دراسة الظاهرة الدينية في إسرائيل، من تأليف الدكتور محمد عمارة تقيّ الدين: «المؤسسات الدينية في إسرائيل»، و«الأحزاب الدينية الإسرائيلية ودورها في صنع القرار السياسي»، و«الحركات الدينية الراضية للصهيونية داخل إسرائيل».